زبيد .. سحر الخيال وبؤس الواقع

(2-2)

هشام علي

لم نجد سحر الخيال في الحلقة الأولى من المقال، هكذا يقول كل من قرأ تلك الحلقة، وأنا نفسي أقول الشيء ذاته، وأخشى أن يستمر بؤس الواقع غالباً على المقال، خاصةً إذا استسلمت لسيل الأسئلة المتواردة على الذهن أو تلك الأسئلة التي تستقبلك بها المدينة وأنت توشك على الدخول إليها أو تحاول الاستراحة في أحد مقاهيها.

قطعت سلسلة الأفكار والأسئلة المتزاحمة، وبدأت بقراءة كتاب «مدن لا مرئية» أو مدن الخيال، كما أسماها المترجم العربي، والكتاب للروائي الإيطالي إيثالو كالفينو، الذي يجمع في سرده بين الواقعية السحرية لأمريكا اللاتينية وبين الرواية التاريخية الأوروبية، وليس ثمة غرابة، فإيثالو كالفينو ولد في إيطاليا وعاش معظم عمره في كوبا، وجمع في أدبه بين الميراثين السرديين، وله كثير من الروايات والقصص وأدب الخيال العلمي.

في هذا الكتاب «مدن الخيال» يذكر مدينة باسم «زبيد»، وذلك تحت عنوان «المدن والرغبات»، ليست زبيد التي نراها اليوم أو رآها أقوام قبلنا منذ زمن، إنها إحدى مدنه اللامرئية التي وردت في حكايات البحار البندقي «الفينيسي» ماركوبولو، التي كان يرويها لامبراطور الصين قبلاي خان، لقد كان يحدثه عن رحلاته في مدن لا وجود لها على أي خارطة، بل ليس لها زمن تنتمي إليه، إنها مدن خارج الجغرافيا وخارج التاريخ، مدن تزرعها المخيلة وتزرع مسيرة رحلاتها الأحلام، وأغرب ما في الأمر أن الامبراطور قبلاي خان كان يصغي بفضول واهتمام لحكايات ماركوبولو، رغم أنه لم يكن يصدق شيئاً مما يرويه.

يذكر ماركوبولو مدناً صنعتها الأحلام والرغبات، ويذكر أنه وصل بعد إبحار دام سبعة أيام وسبع ليالٍ إلى مدينة اسمها زبيد، «يصل المرء إلى زبيد، المدينة البيضاء، المكشوفة جيداً للقمر، ذات الشوارع التي تدور على نفسها كخيوط كبّة الغزل، ويروي في تأسيسها أن رجالاً من جنسيات مختلفة رأوا حلماً واحداً، امرأة تجري، في عز الليل، وفي مدينة مجهولة، رأوها مدبرة بشعرها الطويل عارية، حلموا أنهم كانوا يتبعونها، وأخيراً فقد كل منهم أثرها، ولما استيقظوا من حلمهم انطلقوا للبحث عن المدينة، فلم يعثروا عليها، لكنهم التقوا في مكان واحد، فقرروا بناء مدينة كمدينة حلمهم، ولتنظيم شوارعها أعاد كل واحد بناء شوط مطاردته للمرأة، وفي الموضع الذي كان قد فقد فيه آثار الهاربة، نظم الفراغ والجدران بصورة مختلفة عما كان في حلمه بحيث لا تتمكن من الفرار، وكان هذا ما أعطى مدينة زبيد شكلها، حيث أقاموا ينتظرون ليلة يتكرر فيها المشهد، ولم يرَ أي واحد منهم المرأة بعد ذلك، لا في الحلم ولا في اليقظة، ولم يكن يربط شوارع المدينة تلك التي ينطلقون عبرها إلى أعمالهم كل يوم، أي علاقة مع مطاردة الحلم، بعد أن طواه النسيان من زمن بعيد».

كانت هذه هي مدينة زبيد، مدينة شكّلتها الأحلام والرغبات، امرأة عارية تركض في ليل الأحلام، يطاردها رجال يخرجون من مخادع نومهم للإمساك بذلك الحلم، وفي سياق المطاردة يرسمون موقع المدينة ويخططون شوارعها، كل يشق طريقاً من حيث أتى إلى مدينة الأحلام والرغبات.

تتكرر الحكاية ويتكرر الحلم ويتكرر شكل المدينة، ما عدا بعض التفاصيل في مركز المدينة، حيث يحاول المطاردون إغلاق جميع المنافذ حتى لا تهرب تلك المرأة التي تركض في أحلامهم.

يواصل ماركوبولو حكايته عن المدينة : «وصل رجالٍ آخرون من بلاد أخرى، كانوا قد رأوا حلماً مماثلاً، فتعرفوا في مدينة زبيد إلى ملامح من شوارع حلمهم، و كا نو ا يغيرون مكان الأقواس و ا لسلا لم بحيث تشبه بصورة أفضل درب المرأة المطاردة، وحيث اختفت لم يعد منفذ للفرار، ولم يكن القادمون الأوائل يدركون ما يغري هؤلاء بمدينة زبيد، هذه المدينة الساحرة التي لا ترحم».

هل اقتربت مخيلة كالفينو من حقيقة زبيد التي نعرفها، هل قلب المدينة الضائع أو هويتها المنسية هو ما نبحث عنه إلى اللحظة الراهنة

على هذه الصورة رسمت المخيلة الأدبية للكاتب الإيطالي إيثالو كالفينو ملامح تخيلية لمدينة زبيد، مدينة لا تصل إليها من خلال أطالس الجغرافيا وخطوط الطول والعرض، بل مدينة تنشأ في الأرض من تقاطع الأحلام والرغبات، امرأة شاردة تظهر في ليل الأحلام، تتشكل شوارعها الدائرية كمتاهة، في مركز المدينة أو في قلبها، يختفي الحلم وتضيع الرغبات.

هل اقتربت مخيلة كالفينو من حقيقة زبيد التي نعرفها، هل قلب المدينة الضائع أو هويتها المنسية هو ما نبحث عنه إلى اللحظة الراهنة، ندور في فلك شوارعها، حيث تختفي الأحلام وتضيع الرغبات، ليست زبيد التي يصفها الكاتب، هذه مدينة أخرى يغطي غبارها المتطاير ملامح تلك المرأة المنزرعة بين الأحلام والرغبات.

لنغلق إذن كتاب كالفينو ومدنه اللامرئية، ومرة أخرى نعود لنقرأ زبيد في صفحات الكتب، هذه المرة نلجأ إلى كاتب واقعي تفيض كتابته بوصف اليمن.

سنحاول أن نرى صورة زبيد كما وصفها الكاتب محمد عبدالولي في روايته الشهيرة (صنعاء مدينة مفتوحة) أن الذي يروي لنا حكاية المدينة ويصفها هذه المرة بحار يمني عادي، ليس ماركوبولو كما رأينا في الحكاية السابقة، والذين يستمعون للحكاية لم يكن بينهم الامبراطور قبلاي خان، بل كانوا مجموعة من الرجال الذين سحقتهم مرارة العيش فلاذوا للسمر في مقهى صنعاني يروي كل منهم ذكرياته.

بدأ البحار يسرد حكايته، كانت حكاية عادية كما يقول الراوي خرج الصبي من قريته متجهاً إلى عدن، حيث عمل فيها، لكنه ضاق ذرعاً بالحياة هناك وعاد إلى القرية وفي القرية لم يستطع العيش في ظلامها بعد أن رأى أنوار عدن قرر الخروج ثانية من القرية ولكن لطلب العلم في هذه المرة، فاتخذ طريقه نحو زبيد ثلاثة أشهر مشياً على الاقدام أو التعلق على سيارة عابرة.

يصف البحار أهالي زبيد الفقراء الذين غمرهم النسيان كانت تلك أول صورة التقطها الفتى للمدينة، لكنه يضيف واصفاً: كانت زبيد منارة للعلم منذ عرف اليمنيون العلم .. وظلت قرونا شعلتها .. ولكن حين أشرفت عليها .. كانت نائمة في وسط سهل ممتد .. مآذنها القديمة وبيوتها ذات البناء التاريخي .. ثم عشش من اللبن وعشش أخرى من مخلفات الماشية .. وسعف النخيل.

وهناك خارج أسوار المدينة .. تلك الأسوار التي صدت عن زبيد غارات المتوحشين .. وحفظت لها شعلة العلم .. وهي الأسوار التي صدت عن المدينة .. تدفق شعاع العلم الحديث خارج تلك الأسوار القديمة الصلدة التي ما زالت تقاوم الزمن تقع المقبرة .. ميدان واسع لا نهاية له .. كأن أموات العالم كله متجمعون هناك .. ومن فوق ربوة عالية خارج زبيد ترى المكانين .. زبيد داخل سورها .. والمقابر بشواهدها .. وقببها البيضاء .. مدينتان .. للأحياء .. وللأموات .. وأي إنسان لا يعرف زبيد .. لا يستطيع أن يميز بين المدينتين لأنهما متشابهتان.

داخل الأسوار ينام الناس .. ويأكلون ويذهبون إلى مسجدها الكبير ليؤدوها بدون حماس .. ثم يعودون ليناموا .. ولا تستطيع أن تحدد أين ينام الناس ففي كل مكان تراهم متمددين.

داخل الأسواق ذات الشوارع الحجرية .. والدكاكين المبنية من حجارة متراكبة فوق بعضها بدون تماسك ومن سعف النخيل.

أو في المقاهي .. حيث السرر الخشبية المربوطة بحبال بدلاً من الكراسي .. وفي المساجد وداخل البيوت .. أو على أسطحها وفي داراتها .. في كل مكان من المدينة ترى الناس ينامون .. ويأكلون ويصلون وفي كل مكان ترى الناس عرايا إلا من مئزر أبيض إلى الركب .. وقلنسوة مصنوعة من الألياف والمدينة يا أصدقاء .. تحترق من أشعة الشمس وتحترق من الناس الذين لا يعملون.

هكذا تظهر صورة زبيد لذلك البحار اليمني .. مدينة كبيرة للنائمين .. تنقسم إلى نصفين .. نصف للذين ناموا نومتهم الأبدية والنصف الثاني للذين ينامون انتظاراً للموت.

شتان بين زبيد كالفينو الغارقة في الحلم، وزبيد التي يصفها محمد عبدالولي، حيث الناس ينامون في كل مكان من المدينة، لكن الأحلام لا تزور مضاجعهم.

ليس ثمة الامبراطور قبلاي خان ولا البحار البندقي ماركوبولو، لا وجود لامرأة عارية تجوس بشعرها الطويل في أحلام الرجال وتحركهم من مخادع نومهم ليفزعوا راكضين نحو ذلك الحلم.

قام محمد عبدالولي بتحطيم تلك الصورة السحرية الرائعة لزبيد.

أيقظنا من فرحة الأحلام ليذيقنا مرارة الحقيقة وبؤس الواقع.

الكاتب .. ذلك الوغد الذي لا بد منه!!

إبراهيم طلحة

{ هذا ليس سبّاً ولا قدحاً موجهاً إلى الكاتب على الإطلاق، بل هو غاية المدح والثناء!!

نعم، إن الكاتب وَغْد وكلب وشيطان رجيم، لكنه في كل ذلك رأس مال!!

الكاتب - وإن كان شرّاً مستطيراً - رقمٌ صعب لا يمكن للمجتمع بقيادته وقواعده تجاوزه.

هو مثل النار التي تحرق كل ما أتت عليه، لكنها ضرورية للوقود ولاستمرار الحياة.

الكاتب أكسجين تتنفس الناس من خلال كتاباته، وفي الوقت نفسه ثاني أكسيد الكربون، يرشق الأخطاء السياسية والاجتماعية وينفث بصراحته الفضائح والفضائع الكائنة والمتوقّعة.

لا مفرّ من الكاتب، إنه لازمةٌ من لوازم الزمان والمكان، ومرض عضال لا استشفاء منه إلاّ به!!

للكاتب موقعه في خارطة المسارات المستقبلية، ودوره في تقريب وجهات النظر أو إقصائها، إنه قادر على أن يجعل لهذا المجتمع تاريخاً أبيض أو أسود بورقةٍ وقلم!!

لتحضير للملتقى التشاوري الأول للعاصمة الثقافية تعز

سبأ

ناقش المكتب التنفيذي للعاصمة الثقافية تعز في اجتماعه أمس الأول بمحافظة تعز برئاسة مدير المكتب رمزي عبد العزيز اليوسفي التحضيرات لإقامة الملتقى التشاوري الأول للعاصمة الثقافية تعز مع نهاية شهر مارس الجاري.

وتم خلال الاجتماع تحديد أسماء المدعوين لحضور الملتقى من مختلف محافظات الجمهورية ومن المفكرين والأدباء والشعراء والفنانين والمعنيين بالشأن الثقافي العام،وكذا تحديد محاور الملتقى التشاوري وأوراق العمل المقدمة للاستفادة منها في تحديد احتياجات العاصمة الثقافية ،سواء من الأنشطة أو الفعاليات الإبداعية أو البنى التحتية بالإضافة إلى تقسيم مجموعات العمل في إطار الملتقى.

نظمه اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين فرع صنعاء:

«غبسو» يفتتح معرضه الكاريكاتوري الأول

حسن شرف الدين

نظم اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين فرع صنعاء يوم أمس بقاعة بيت الثقافة المعرض الكاريكاتوري الأول للفنان الكاريكاتوري محمد غبسي «غبسو».. وقد احتوى المعرض على أكثر من 100 رسمة كاريكاتورية تناولت عدداً من القضايا الاجتماعية والسياسية بأسلوب كاريكاتوري ساخر، حاول الفنان «غبسو» من خلالها معالجة عدد من القضايا بأسلوبه الخاص.

وقد افتتح المعرض عضو مجلس الشورى خالد الرويشان، الذي قام بالطواف على المعرض ومعه نائب وزير الثقافة هدى إبلان، واللذان استمعا من الفنان «غبسو» شرحا مختصرا عن رسوماته الكاريكاتورية.

وأكد خالد الرويشان في كلمة له أن الكاريكاتير في اليمن مغمور تحت مشاكل كثيرة منها المعارض والإعداد والتبني.. مشيرا إلى أن معرض «غبسو» احتوى على رسومات تحمل أفكار قوية ورسومات أخرى كافية لأن تكون معرض، ومنها ما تحتاج إلى التأمل.

وأضاف الرويشان: إن اليمن يمتلك الكثير من الشباب المبدع ومنهم الفنان «غبسو» الذي استطاع بأسلوبه الخاص التعبير عن الكلمة بالرسم الكاريكاتوري، كما أن لوحاته حملت قصائد وكلمات ساهمت في مناقشة القضايا الاجتماعية والسياسية بأسلوب تفرد بها الفنان «غبسو».

من جانبه ألقى عضو مجلس نقابة الصحفيين اليمنيين عبدالله الصعفاني كلمة أشار فيها إلى أن معرض «غبسو» احتوى على لوحات تحمل الغموض إلا أن الفنان حرص على شد إنتباهنا لأن نفكر ونفكر بعمق في محتواها ودلالاتها الاجتماعية والسياسية.. مشيرا إلى أن كل لوحة من لوحات «غبسو» مادة خصبة للقراءة والتأمل.. منوها إلى أن أي قارئ لما خطته ريشة «غبسو» سيلاحظ أنها تختزل هموم شعب وهموم شباب.

آيات مبصرة فى القرآن الكريم

صدر حديثاً عن سلسلة "كتاب اليوم" بالقاهرة كتاب جديد بعنوان "آيات مبصرة فى القرآن الكريم" للكاتب والمفكر الدكتور أحمد درة أستاذ أمراض الكبد والجهاز الهضمى بكلية الطب جامعة الأزهر.

يقدم لنا المؤلف آيات من القرآن الكريم، ومعجزات خلقها الله، كنعمة البصر والسمع والتذوق والإحساس، لنرى عظمة الله سبحانه وتعالى وما تعجز البشرية عن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيرا، وكذلك الولوج إلى أسرار هذا الخلق من حيوان ونبات وجماد، ولم تؤمر أمة باتباع السبل إلى العلم بقدرما أمرت به أمه محمد.

يصحبنا المؤلف من خلال 140 صفحة لآليات من كتاب الله الحكيم والتدبر فيها، ولعل القرآن الكريم كان واضحا فى حث المؤمنين أن يتفكروا ويتدبروا كيف بدأ الخلق، وكيف بث الخالق العظيم مخلوقاته فى هذا الكون العريض، والقرآن الكريم لا يتوقف عن الفيض بكل ما يغذى العقل ويثرى الروح.

وتقول الكتابة ثناء أبو الحمد رئيس تحرير "كتاب اليوم" إيمانا منا بضرورة الدعوة إلى الإجتهاد والعلم حرصنا على تقديم كتاب الدكتور والمفكر أحمد درة "آيات مبصرة فى القرآن الكريم" الذى يقدم لنا معجزات خلقها الله لنا وليست بعيده عنا فهى فى خلق الإنسان معجزة وخلق البصر والسمع والتذوق والإحساس وغيرها من معجزات.

ويدعونا للتفكير والتدبر ليزداد إيماننا وأن نقابل هذا بالشكر وترجمته بالعمل لنصبح أمة قوية حقيقية وليس أمه تعتمد على الماضى فقط، الله سبحانه وتعالى حثنا على العلم والتدبر حتى نحقق غاية وجودنا على هذه الأرض من إعمار لها عبادة الخالق الواحد الأحد فهل من مدكر.

الأزياء الشعبية حضارة وتراث

د /ليلى الشيباني

تعتبر الأزياء الشعبية حضارة وتراثاً، كما إنها عنوان البيئة والإنسان، والتراث كما هو معروف يعني ثقافة الشعب غير المكتوب أو المدون، إي الذي لا يعرف مؤلفا خاصا له، والذي ينتقل بالمشافهة والمحاكاة من جيل إلى آخر تركه الأجداد والآباء ليرثها الأبناء ثم يورثونها من بعدهم إلى الأحفاد. وقد أدى الاهتمام بالزي حتى وصل أحيانا إلى درجة اعتباره جزءاً من وجود الإنسان الثقافي والروحي، وعلى مر التاريخ والعصور وصل الزي إلى مراحل رائعة من التطور، وكان فن النسيج يستمد روحه من وحي الطبيعة، وقد اتسم التطريز بطابع عفوي وفطري. فاليمن لديها رصيد قديم وغني في مجال الأزياء المستمدة من جذورها من الأزياء الإسلامية القديمة التي كان لها نصيب كبير من الغنى الحضاري، إلى درجة أنها كانت توصف في الشعر لجمالها ولسحر ألوانها وزخارفها الجميلة, والأزياء اليمنية تعكس فن أهلها ومهارة الأيدي اليمنية في التعامل مع النسيج والألوان فأصبحت حقا تحفاً ثمينة بزخارفها، فالأزياء اليمنية حضارة تنطق بعظمة تاريخها العريق. كما أن هذه الملابس الشعبية الجميلة تحظى بشعبية كبيرة رغم تقدم الحياة وتطورها إلا أن الطابع الجمالي وإتقان صناعتها سيجعل من هذه الأزياء الجميلة كنزاً يخلد مدى الدهر لا يمكن طمسه مهما بلغت عجلة التقدم والتطور، لأنها جاءت بناء على سلوكيات معينة تحظى بالاهتمام والاحترام وتوثق العلاقات الاجتماعية بين الناس، فمن خلال زي واحد يمكننا دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع).

وظلت الأزياء اليمنية المفضلة في شبه الجزيرة العربية والأقطار العربية إلى أن ذاع صيتها في بلاد الصين. فصناعتها أتقنتها معامل يمنية ونسجت خيوطها أنامل ماهرة، وحتى منتصف القرن الماضي كان ينطبق على المجتمع اليمني «نأكل مما نزرع ونلبس مما نصنع»، حيث كانت واجهات محلات وأسواق بيع الملابس في اليمن تزينها الأزياء التقليدية الوطنية، ولم يعرف المجتمع اليمني ملابس سواها، خاصة وأن تشكيلها وخامتها ارتبط بالبيئة الاجتماعية وتنوعت بتنوع مناخ المناطق اليمنية وأذواق سكانها فاختلفت من محافظة إلى أخرى، بل إنها تنوعت على مستوى قرى ومناطق المحافظة الواحدة لتصل إلى مئات الأنواع.

أدرك الإنسان اليمني بفطرته منذ القدم ضرورة انسجامه مع بيئته وتجاوبه مع معزوفاتها الطبيعية، ففي المناطق الجبلية الباردة استطاع تكييف حياته وفقا لمناخها ، فبني البيوت العالية ذات النوافذ الضيقة والسقوف المنخفضة، ووضع لها هندسة معمارية خاصة تمنحه اعتدال هوائها في أي من فصولها المناخية، ونسج ملابسه أيضا من أصواف الأغنام وشعر الماعز ومن ألياف القطن والكتان، ولعله أدرك في مرحلة مبكرة أن تلك الحضارة لا يصنعها سوى تفاعله الخلاق مع المكان، وأن تواؤمه مع المكان سيجعله أكثر فاعلية لخطة سعيه إلى إنتاج احتياجاته.

فمثلما هو الحال بالنسبة للعمارة اليمنية وتنوعها بحسب البيئة الطبيعية والمناخ، فإن الأزياء الشعبية أيضا قد حددتها الظروف الطبيعية والمناخية لحياة السكان من حيث الشكل والنوع. ففي مدن ومناطق السهول الساحلية (يكون الزي خفيفاً وواسعاً غير ضاغط على الجسم) وفي مناطق الهضاب المنخفضة تكون متوسطة في سماكتها وحجمها، أما في مناطق الجبال والمرتفعات فيستخدم اللباس الغليظ والكثيف، كما أن هذه الملابس والأزياء كانت تتميز باختلافها بحسب المكانة والوضع الاجتماعي للفرد، وتشكل الأزياء الشعبية لوحة جميلة ومتنوعة الأشكال، تكتمل روعتها بارتداء وسائل الزينة كالتمنطق بالجنابي والخناجر والسيوف عند الرجال وبالحلي الفضية والذهبية عند النساء.

* الأستاذ المساعد بكلية الفنون الجميلة
جامعة الحديدة
ورئيس قسم التصميم الداخلي